"السياق وأثره في تحديد مقصدية الخطاب الديني"

أ.شيخ أعمر الهوارية
المركز الجامعي عين تيموشنت

يحظى السياق بأدوار كثيرة في التّفَاعل الخطابي، وفي تحديد وجهته وغرضه، فما السياق وما أنواعه، وما عناصره وكيف يؤثر على استراتيجية بث الخطاب الإقناعي من حيث اختيار المعنى وتجسيده ؟

1- مفهوم السياق:

أ- أما لغة فهو مأخوذ مِن الجدر اللّغوي (س، و، ق) وأصله "سواق" والكلمة مصدر "سَاقَ" يَسُوقُ سَوقًا وسِيَاقًا، وسَاق إليها الصَداقَ والمهرَ سِيَاقًا، لأن العرب كانوا إذا تزوجوا سَاقُوا الإبِل والغَنَمَ مَهرًا لأنها كانت الغالِب على أموالهم.[1]

يتبينن لنا من هذا التعريف أن السياق جاء عن طريق المجاز من المعنى الأصلي وهو سوق الإبل ليدل على أن المعنى اللّغوي يشر إلى ثلاث دلالات هي سوق المهر ونزوح الروج، ودلالة الحال التي حدث فيها الحدث[2] وجاء في "المعجم الوسيط" «ساق الحديث: سَرَدَهُ وسَلْسَلَهُ وسَاوَقَهُ تابعه وسَايَرَهُ ، وجَارَاهُ ، وتَسَاوَقَتِ المَاشِيَة ونحوها : تَتَابَعَتَ وتَزَاحَمَتْ في السَيْرِ وتَسَاوقَ الشَيْئان تَسَايَرَا، أو تَقارَنَا... وسِياقُ الكَلاَمِ تتابِعُهُ، وأسْلُوبُهُ الذي يَجْري عَلَيهِ »[3]

1- ينظر "لسان العرب" ابن منظور، صادر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2000، ج6، مَادَة (سوق)، ص 484.

2- ينظر، المصدر نفسه، ص 485.

3- "المعجم الوسيط"، مجمع اللّغة العربية، القاهرة.، ص362

فمن الأقوال السابقة لمفهوم "السياق" يتضح لنا أنها تقوم على التتابع والاستقامة والانقياد والاتفاق، وكلها مفاهيم تحضر في الإنتاج الخطابي اللّغوي باعتباره تتابعا وانقيادا للأصوات والكلمات والعبارات، وفق ضوابط اللّغة وما تخضع له من تواضع وقواعد.

من هنا « فاستخدامنا لكلمة سياق في التعبير "سياق العبارة" أو "سياق الموضوع" أو "سياق الجملة" استخدام مجازي يعود إلى المعنى الأصلي من التتابع والسير والنّظم فكما تساق الغنم في قطيع واحد تساق الكلمات في جمل وعبارات، وهذا هو وجه الشبه بين السياق بمعناه الحسي والسياق بمعناه اللّغوي »[1]

أما اصطلاحا فقد عرفه علم اللّغة الحديث بأنه «...الذي جرى في إطاره التفاهم بين شخصين، ويشمل ذلك زمن المحادثة ومكانها بين المتحادثين، والقيم المشتركة بينهما والكلام السابق للمحادثة »[2].

والحقيقة أن مفهوم السياق ارتبط بمفهومين :

– **الاستعمال الأول:** يتعلق بالمحيط اللّغوي الذي تنتظم من خلاله كلمات الخطاب ومجموع الألفاظ التي تَسبق أو تلحق الكلمة أو العبارة أو الجملة (السياق اللّغوي) والتي تأتي لتبين ما تَعني سابقتها، يقول (سيفن أولمان) كلمة «السياق context» قد استعملت حديثا في عدّة معان مختلفة والمعنى الوحيد الذي يهم مشكلَتنا في الحقيقة هو معناها التقليدي أي النّظم اللّفظي للكلمة وموقعها من ذلك النّظم، بأوسع معاني هذه العبارة.

1- "نظَرية السياق بين القدماء والمحدثين"، عبد النعيم خليل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الاسكندرية، ط1، 2007، ص 27.

2- "الألفاظ والدلالة في بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز"، للفيروز آبدي، مصطفي محمد عبد المجيد خضر "مؤسسة حورس الدولية"، الإسكندرية، ط1، 2011، ص 157.

إنّ السياق على هَذا التفسير ينبغي أن لا يشمل الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاّحقة فحسب بل والقطعة كلّها والكتاب كله»[1]، وكلمة النظم هي توالي الكلمات وتراصها وفق نسق خاص يتنامى من خلاَلها ما يسمى بالسياق اللّغوي.

– **استعمال الثاني**: الذي تدقق ضمن الطرح التداولي[2]، ويضم الظروف والملابسات الثقافية والاجتماعية والنّفسية التي تحيط بالإنتاج الكلامي (أو بمعنى آخر هو سياق الحال أو سياق الموضوع)، يقول جون ديبوا Jean Dubois «السياق هو مجمل الشروط الاجتماعية المتفق علَيها التي تؤخذ بِعين الاعتبار لدراسة العلاَقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي واستعمال اللّغة... وهي المعطيات المشتركة بين المرسل والمرسل إليه والوضعية الثقافية والنفسية والتجارب والمعلومات الشائعة بينهما »[3]، وهذا المفهوم شكل النقطة الأساسية في الدراسات التداولية.

1- "دور الكلمة في اللّغة"، ستيفن أولمان، تر كمال بشر، دار غريب، القاهرة، ط1، 1962، ص 68.

2 - 100 fiches pour comprendre la l'linguistique, Gilles Sioufi et Dan Van Raemdonck Bréal, Rosny 2eme Edition, p148.

3 -Jean Dubois « Dictionnaire de l'linguistique et des sciences du langage », l'rousse 2eme Edition 1999, p 116.

* "إن مصطلح الدلالة عِند علماء العربية هُو العلم الذي يَدرس كلَ ما أعطى مَعنى أو علم دراسة المعنى الذي يتحقق مِن الرُموز الصّوتية واللّفظية والكتابية والإرشادية والجسدية وغيرها من رموز المعاني " الدلالة اللفظية ، محمد عكاشة مكتبة الأنجلوا المصرية، بط، 2002، ص 8.

2- أهميتة :

2-1- القدماء: لقد أدرك القدماء أهمية "السياق" في إدراك المعنى وتحديده، وليس ذلك مقصورا على اللّغة فحسب بل يشمل حتى المقام المحيط بالجملة ومقال المتكلم وطبيعة الموضوع ومكانه وزمانه وغير ذلك، ويتضح لنا إدراك القدماء لأثر السياق في تحديد الدلالة من خلال الدور الذي قام به اللّغويون والمفسرون والبلاغيون وهذا ما سوف نبينه في عجالة فيما يلي :

أ- اللّغويون : كان ابن جني (ت 392 هـ) من أهم اللّغوين الذين اهتموا بالسياق اللّغوي وأثره في فهم الدلالة، وقد اشتمل كتابه الخصائص على أمثلة كثيرة من القرآن يوضح بها أهمية السياق في فهم المعاني الخاصة بالألفاظ ومن ذلك **قوله تعالى:** « **يَوْمَ يَكْشِفُ عَن سَاقٍ وَيَدْعُوْنَ إِلَى السّجُودِ فلاَ يَسْتَطِيْعُونَ**»[1]. فلفظه الساق هنا يراد بها شدة الأمر كقولهم: قد قامت الحرب على ساق[2] وليس العضو المعروف من بدن الإنسان.

أما الجاحظ (ت 655هـ) فقد تنتبه بدوره إلى أهميته وأثره في تحديد المعنى وبيانه وذلك عندما حدد عناصره قائلا : «جميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد : أولها اللّفظ ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخّط، ثم الحال التي يسمى نصبة»[3]، فهو قد بين أن السياق غير مرتبط باللّغة المنطوقة فقط، بل أكد أنه مرتبط باللّغوي وغير اللّغوي معا. فكان هو السباق إلى ذكر ذلك.

1- سورة القلم، آية 42.

2- "الخصائص"، ابن جني، تح محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، ط31983، ص 1.

3- "البيان والتبيين"، الجاحظ، تقديم نهاد نور الدين جرد، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2001، ج1، ص 11.

ب–البلاغيون: إذ تمثل مقولة "مطابقة الكلاَم لمقتضى الحال**"، "ولكل مقام مقال" من المقولات المشهورة التي كان لها الأثر في توجيه البحث البلاغي، إذ أدرك البلاغيون أهمية السياق وأثره في بيان المعنى فـ «المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة وكذلك ليس يتضح بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال وما يجب لكل مقام من مقال»[1] إذ يجب «... للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ولكلّ حالة من ذلك مقاما حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات.»[2]

وقد عبر الجرجاني (ت 471 هـ) بدوره عن أهمية السياق اللّفظي في دراسة التراكيب أو النظم وأوضح أن السياق هو ترتيب الألفاظ داخل الجملة بحيث تتوافق هذه الألفاظ مع معانيها في النّفس والعقل، فاللّغة عنده ليست ألفاظ، بل مجموعة من العلاقات تنشأ بين هذه الألفاظ لتفضي إلى معنى محدد، وقد عبر عن مدى الارتباط بين الكلمات بعضها ببعض ومناسبتها للسياق والمقام الذي تذكر فيه في قوله: « إن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللّفظة لمعنى التي تليها»[3].

**- والحال كان يرادِف في أغلب الاستعمالات مصطلح المقام فكل منهما يقصد به مجموعة الاعتبارات والظروف والملابسات التي تحيط بالنشاط اللّغوي ، ويكون لها تأثيرها في تحديد دلالة الكلام ومعناه، ينظر "المعنى في البلاغة العربية "، حسن طَبل ، دار الفكر العربي ، مصر 1 ، 1998، ص 194.

1- "البيان والتبين"، الجاحظ، ج1، ص 136.

2- "المصدر نفسه ، ج1 ، ص 166، 167.

3- "البيان والتبين"، الجاحظ ، ج1 ، ص 136.

وقد بين ذلك من خلاَل كلمة "جسر" التي وردت في ثلاث أبيات من الشعر متفاوتة لتفاوت السياق الذي وردت فيه فيقول: «إنك ترى اللّفظة المستعارة قد استعيرت في عدة مواَضيع ثم ترى لها في بعض ذلك ملاحظة لا تجدها في الباقي مثال ذلك أنك تنظر إلى لفظة (الجسر) في قول أبي تمام :

لاَ يَطْمَعُ المرْءُ أنْ يجْتَابَ لجُنَة بالقَول مَا لَم يَكُن بجسْرًا لَهُ العَمَل

وقوله: بَصُرت بالرَاحَةِ العُظمَى فَلَم تَرَهَا تَنَالُ إلا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَعَبْ

(فترى لها في الثاني حسنا لا تراه في الأول) ثم تنظر إليها في قول ربيعة الرّمي:

قُولِي نَعَمْ إنْ قُلت وجبَة قَالَتْ عَسَى، وعَسَى جسْرُ إلى نَعَم.

كما بين الجرجاني (ت 471 هـ) أثر السياق الثقافي في التعريف بين الدلالة الحقيقية والدلالة المجازية، وذلك من خلال الوقوف على ثقافة المتكلم ومعتقداته[1]

ج- عند الأصوليون: يعد السياق عندهم من المربعات الأساسية التي قد تعتمد في ضبط الأدلة لأصول الأحكام الفقهية، ويتضح ذلك من كلام الشافعي الذي يقول: "فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها على ما تعرف من معانيها، وكان مما تعرف من معانيها:

اتساع لسانها، وأنّ فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاما ظاهرا يراد به العام الظاهر ويستغني بأول هذا منه عن آخره، وعاما ظاهرا يراد بؤره العام ويدخله الخاص فيستدلّ على هذا ببعض ما خوطب به فيه، عاما ظاهرا يراد به الخاص، وظاهرا يعرف في سياقه أنّه يراد به ظاهرة، فكل هذا موجود علمه في أول الكلاَم أو وسطه أو آخره ».[2]

1- "دلائل الإعجاز "، عبد القاهر الجرجاني، مكتبة الانجلو المصرية، بط، ص 78، 79.

2- ينظر المصدر نفسه، ص ن.

ولذا يشترط الأصوليون على من يتصدّى لاستخراج الأحكام الفقهية أمور لا ينبغي أن يغفل عنها وهي:

- ألا يغفل عن بعضه في تفسير بعضه.
- ألا يغفل عن السّنة في تفسيره.
- أن يعرف أسباب نزول الآيات.
- أن يعرف النظم الاجتماعية عند العرب.

فهذه العناصر الأربعة يمكن اختصارها في كلمة "مقام" فلا ينبغي لمن يفسر القرآن أن يغفل عنها.[1]

2- المتحدثون :

لقد اهتم المحدثون بالسياق اهتماما بالغا، لما له من دور في تحديد المعاني وإبرازها إذ أكدو على "أن أهمية تحديد سياقات الكلمة واستخداماتها الفعلية تنبع من أن الكلمات لا تملك وجودا مجردا لذاتها، ولكن وجودها يتحقق في استخدامها، ومن الهام أن نحدد معنى الكلمة باعتبارها جزء من نظام، لأنها قد تملك عدة معان حسب استخدامها في السياق"[2]

وكانت كلمة سياق Context متداولة بين اللّغويين والأوروبيين إلى أن جاء "مالينوفيسكس" وأضفى على اصطلاح "سياق الحال" Context Situation معنى خاصا ثم تطور هذا المصطلح على يد "فيرث".

1- ينظر، "اللّغة العربية، معناها ومبناها"، تمام حسان، عالم الكتاب، ط، 20044 ص 348.

2- "صناعة المعجم الحديث"، أحمد مختار عالم الكتب، ط1، 1998، ص 132.

إن سياق الحال عند فيرث هو جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي، ومنهج نظرية السياق يقوم على ثلاثة أركان رئيسية في دراسة اللّغة بصفة عامة ودراسة المعنى بصفة خاصة وهذه الأركان هي":[1]

1)– وجوب اعتماد كل تحليل لغوي على ما يسميه فيرث "بالمقام" أو "سياق الحال" والمتمثلة في :

– الكلام الفعلي نفسه.

– شخصية المتكلم والمتلقي – على حد سواء – تكوينهما الثقافي والعلمي....

– الأشياء والموضوعات المناسبة المتصلة بالكلام وبالموقف.

– أثر الكلام في المتلقين كالإقناع أو الألم أو الإغراء أو.....

– العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللّغة وبالسلوك اللّغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي كالمكان والزمان، وحالة الجو إن كان لها دخل، وكل ما يتصل بالموقف الكلامي.

2)– وجوب تحديد بيئة الكلام المدروس وصبغته، لأنه يضمن السلامة من الخلط بين لغة وأخرى أو لهجة وأخرى أو مستوى كلامي وآخر، فيجب أن يحدد الدارس البيئة الإجتماعية أو الثقافية ليحدد المستوى اللّغوي الذي سوف يتعرض له بالدراسة، أهو الفصيح أو العامي أهي لّغة قرآن أم لّغة شعر....لأن هناك علاقة مبنية بين اللّغة والثقافة المحيطة بها.

3)– وجوب النظر إلى الكلام اللّغوي على مراحل: لأن الكلام اللّغوي عند فيرث مكون من أحداث لّغوية معقدة، وعليه يجب تحليلها على مراحل فالمعنى

1- "دراسات في علم اللّغة"، كمال بشر، دار المعارف، القاهرة، 1971، ص 172 – 175.

اللّغوي عند فيرث عبارة عن مجموعة من الوظائف الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والسياقية.

فالوظيفة الأساسية لعلم اللّغة وفروعه عنده هي بيان المعنى اللّغوي للكلام.[1]

3- أنواعه :

ولقد اقترح K.Ammer تقسيما للسياق على النحو الآتي:[2]

- السياق اللّغوي: L'linguistique
- السياق العاطفي: Enotional Contexte
- سياق الموقف: Situational Contexte
- السياق الثقافي : Cultural Contexte

1- السياق اللّغَوي: ويعني اختلاف الدلالات ويمكن التمثيل له "حسن" التي تقع سياقات متعددة، فإذ وصف بها رجل كانت تعني الناحية الخلفية، إذ وصف بها طبيب كانت تعني التفوق في الأداء، وإذا وردت وصفا لمقادير كانت تعني الصفاء والنقاوة.

2- السياق العاطفي: وهو يحدد درجة الْقوة والضعف في الانفعال، فهو الذي يكشف عن المعنى الوجداني الذي يختلف من شخص إلى آخر.

3- سياق الموقف: ويعني الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة والذي جرى فيه التفاعل بين شخص أو أكثر ويشمل الزمان والمكان والظروف المحيطة بالموقف الكلامي.

4- السياق الثقافي: وهو السياق الذي يقتضي تحديد المحيط الثقافي أو الإجتماعي الذي يُمكن أن تستخدم فيه الكلمة، فاختلاف البيئات الثقافية في المجتمع

1- ينظر، "دراسات في علم اللّغة"، كمال بشر، دار المعارف القاهرة، 1971، ص 172-175.

2- "علم الدلالة"، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط5، 1998م، ص 69-71.

يؤدي إلى اختلاف دلالة الكلمة من البيئة إلى أخرى مثل كلمة "جذر" تختلف دلالتها عند المزارع وعند اللّغوي وعند عالم الرياضيات[1]

والملاحظ أن هذا التقسيم لا يخرج عن السياقين: "اللّغَوي" وسياق "الحال" حيث يكمن فصل الانفعالات الخاصة بالمتحدث أو المستمع أو الظروف الاجتماعية أو المستوى الثقافي عن الموقف الكلامي.

وقد بين علماء الدلالة قيمة المنهج السياقي في دراسة المعنى وتحديد دلالات الألفاظ قائلين:

1- أنه يجعل المعنى سهل الإنقياد للملاحظة والتحليل الموضوعي، ويعالج الكلمات باعتبارها أحداثا وأفعالا وعادات يمكن ملاحظتها في حياة الجماعة المحيطة بنا.

2- أنه لم يخرج في تحليله اللّغوي عن دائرة اللّغة[2] وهذا يعني أن المنهج قد أعطى أهمية كبرى للوظيفة الإجتماعية للّغة وبين أن معنى الكلمة لا يتضح إلاّ من خلال وضعها في سياقات مختلفة ولا يخرجها عن دائرة اللّغة ودورها الذي تؤديه فيها.

4- نظرية سياق الحال ومكوناته في الخطاب الديني:

سياق الحال – كما سبق الذكر – هو عبارة عن الأحداث والوقائع الملابسة للموقف الكلامي أو الموقف الخارجي الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة.

ودراسة سياق حال في اللّغَة الخطابية يساعد على زيادة كفاءة تقويم العملية الإفهامية والتأثيرية له، إذ لا بدّ أن تفسر دلالة كل لفظة أو عبارة داخل إطار السياق الحقيقي الذي تنسب إليه.

1- المرجع نفسه، ص ن.

2- "علم الدلالة" ، أحمد مختار عمر ، ص 73.

وهذا ما حدث في تفسير القرآن، إذ مما يتصل "بسياق الحال" معرفة أسباب النزول الذي تهدف إلى معرفة المعنى المستقي من اللّفظ وفقا لسياقه وذلك للوقوف على دلالة الخطاب وتحديد مقصديته.

كما أن معرفة الخطاب وفهم مقاصده لا يتيسر إلاّ بمعرفة:

أ- اللّسان العربي الذي نزل به القرآن الكريم، لأن اللّغة هي وسيلة تواصل وتخمين لما يتصوره المتكلم، فهي وعاء ناقل للأفكار والمعاني التي تنتقل بهذه اللّغة من المخاطب إلى المتلقي مهما كان مصدر التّلقي بهذه اللّغة يتساوى في هذه الغاية، الخطاب الإلهي والخطاب عن طريق الحس أو العقل وهي تخضع لضوابط تضبط طريقة استعمالها بين المتكلمين والسامعين.

ب- الأثر السياقي، إذ لا يمكن تحديد مراد المتكلم إلاّ بالنظر إلى القرائن اللّفظية والحالية ويتعلق الأمر، بالبحث في كتاب الله تعالى، وفهم مقاصده، لأنه جاء لهدية النّاس، وقد حث القرآن الكريم النّاس على التدبير في دلالة الألفاظ ليصلوا إلى المعنى المقصود ومن ذلك **قوله تعالى**: «**كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ**»[1]، ويجب ألا يكون هذا التّدبر مخالفا لما جاء في القرآن من عقائد وشرائع، وكل ذلك مرتبط بالبحث في دلالة الألفاظ والسياقات للوصول إلى المقاصد.[2]

وإذا عدنا إلى الخطاب الديني الذي يوجهه الخطباء بغرض التوجيه والنصح والإرشاد...، فإننا نقول أنه من الضروري إعطاء الأولويات لـ "سياق الحال" باعتباره ضمن "الطرح التداولي" مفهوم متعدد المعطيات والعناصر التي لها علاقة مباشرة

1- سورة "ص"، الآية 29.

2- ينظر، "الدلالة اللّغوية وأثرها في تأويل النص القرآني لدى الأشاعرة"، عرابي أحمد، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللّغة العربية، جامعة وهران، اشراف أحمد عزوز، 2003، 2004، ص 11، 12.

بأطراف العملية الخطابية ككل، والتي يبرز دورها في العملية الخطابية وتعني بالمتكلم والسامع ولّغة التخاطب بينهما، ومختلف الظواهر المحيطة، والأحداث المخزونة في الذاكرة والأوضاع السياسية والاقتصادية وحتى حركات الجسم من اللّغة الرمزية فهذا كله مرتبط بالسياق الذي يدرس كل ماله علاقة بالاتصال اللّساني سواءا كان لّغويا أم غير ذلك.[1]

في إطار هذا الطرح سأحاول ذكر العناصر غير اللّغوية المرتبطة بالإنتاج الخطابي والتي يجملها "أحمد المتوكل" في أنها تشمل كل ما يتوافر في موقف تخاطبي معين وأهمها علاقة المتكلم بالمخاطب، وزمان التخاطب ومكانه، والتي انضوت ضمن مصطلحى "مقتضى الحال" "وقرائن الأحوال".[2]

1)– المتكلم: هو أساس الموقف الخطابي، كونه المفعّل الأساسي للسياق وأدواته، ويظهر ذلك من شخصيته وثقافته وملامحه وحتى مظهره وجنسه ونبرة صوته ومكانته الاجتماعية ومخزونه الفكرى واللّغوي، واستعمالات اللّغة تختلف باختلاف متحدّثيها، ف "كل شخص منا لديه مجموعة من الكلمات يشعر أنّ لها دلالات وارتباطات خاصة، فكلمة "البيت" قد تستدعي في ذهن البعض الرّحمة والحنان، بينما تثير في ذهن آخر معاني "الشفاء" و"العذاب"، بينما قد تثير في نفس شخص ثالث شيئا آخر مثل رؤية ابن أو الجلوس في حجرته الخاصة أو مكتبه، ومعنى هذا أن ما تحويه أو تتضمنه الكلمة لا يرتبط بمستوى معين من الاستعمال، بل على العكس قد

1- ينظر، "نظرية السياق دراسة أصولية"، نجم الذين قادر كريم الزنكي، دار الكتب العملية، بيروت، ط1، 2006، ص84.

2- ينظر، المنحنى الوظيفي في الفكر اللّغوي العربي، الأصول والامتدادات، أحمد المتوكل، منشورات، دار الأمان الرباط، 2006، ص 172.

يختلف باختلاف مستويات الاستعمال من طبقة إلى أخرى ومن بلد إلى آخر ومن شخص إلى آخر في نطاق اللّغة الواحدة".[1]

فاستخدمات اللّغة تختلف من شخص إلى آخر ومن موقف إلى آخر والسياق هو الذي يحدد الدلالة والمعنى المقصود دون سواه.

2)– المتلقي: وهو الطرف الثاني الذي يتلقي الخطاب اللّغوي ويؤوله، لهذا لا بدّ للمتلقي أن يتفاعل مع الانتاج اللّغوي، فيسعى جاهدا لبلوغ المعنى وذلك بمراعاة وتحليل الطرف السياقي الذي ورد فيه، لأن تمام الكلام من تمام إصغائه وبلوغ معناه، يقول السكاكي: "وثمن الكلام أن يوفى من أبلغ الإصغاء، وأحسن الاستماع حقه، وأن يتلقى من القبول له والاهتزاز بأكمل ما استحقه، ولا يقع ذلك ما لم يكن السامع عالما بجهات حسن الكلام...".[2]

فقوام كلام التبليغ والاقناع لا يتحقق إلاّ إذا هيأ المخاطب نفسه للإصغاء والفهم.

حتى أن قيمة الخطاب الموجه، لا تظهر إلاّ من خلاله باعتبار أن "جوهر الكلام البليغ مثله مثل الذرة الثمينة، لا ترى درجتها تعلو، ولا قيمتها تغلو...ما لم يكن المستخرج لها بصيرا بشأنها، والراغب فيها خبيرا بمكانها".[3]

3– ملابسات الكلام: والمقصود هنا مختلف المعطيات السياقية التي يقوم عليها الكلام والتي تتحكم في صياغة القول الخطابي وتأويله (منها الاجتماعية والثقافية...الخ)، فالكلام يصف بحسب مقاماته، وأشكال القول تختلف بحسب المعطيات الخارجية وفقا لطبيعة المتكلم ونوعية المتلقي (خصائصه وخلفياته)، وجنس

1- "نظرية الساق بين القدماء والمحدثين، دراسة لّغوية نحوية"، عبد النعيم خليل، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الاسكندرية، ط1، 2007.

2- "مفتاح العلوم"، السكاكي أبو يعقوب، تع، نعيم زرزورة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1987، ص 127.

3- ينظر، المرجع نفسه، ص ن.

الخطاب (وعظي، إرشادي، تعليمي...)، وغير ذلك من الملابسات التي تؤثر في انتاج الكلام وتؤيله.[1]

4- المكان والزمان: يبقي مفهوم السياق غير محدد إذ لم يتقيد بزمان ومكان معينين، فقد توجد مجموعة لا متناهية من السياقات الممكنة التي يستطيع المتكلم أن يكون له فيها أوضاع مخصوصة، وهي ما يعرف "بالسياق الواقعي"، الذي يتحدد بفترة معينة إثر زمان معين، بحيث تتحقق النشاطات المشتركة لكل من "المخاطب" "والمخاطب"، والسياق قابل لأن يتغير من لحظة إلى أخرى، ويجب أن يحدث هذا المتغير أثره في الموضوع بحسب الأحوال المتعاقبة من السياق.[2]

كما سبق الذكر، فإن تحليل الزمان والمكان قبل إلقاء الخطاب من الأولويات التي تحكم على السياق، فما هو صالح لهذا الزمان والمكان قد لا يكون كذلك في زمان ومكان آخرين عل حد قول ابن سنان الخفاجي : فالأعراض الكلامية "تتغير بحسب الأزمنة والدول، فإن العادة القديمة قد هجرت ورفضت، واستجدّ النّاس عادة بعد عادة".[3]

يبقي الأمر في توظيف معطيات الزمان والمكان مرهونا بمهارة المتكلم، إذ لا بدّ أن يكون قادرا على اختيار الأنسب منها بما تستدعيه العملية الخطابية ومقتضياتها.

1- ينظر، "سياق الحال في الفعل الكلامي"، سامية بن يامنة، ص 22.

2- النص والسياق" استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي"، فإن دايك، تر عبد القادر قنيني، الدار البيضاء، افريقيا الشرق، 2000م.

3- النص والسياق" استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي"، فإن دايك، تر عبد القادر قنيني، الدار البيضاء، افريقيا الشرق، 2000م.